المجلة الجزائرية للاتصال العدد 02 (2011)، ص 25 ـــ 36
EISSN:2676-1793 ISSN:1111-536X

التمثلات وبناء الحقائق الاجتماعية لدى مستخدمي الانترنيت والشبكات الاجتماعية

بلقاسم بن روان
أستاذ التعليم العالي ـ جامعة الجزائر"3"

ملخص:
تسعى هذه الورقة إلى طرح إشكالية علاقة استخدام الأفراد لشبكة الانترنيت وبناء الحقائق الاجتماعية لديهم عبر تبنى مقاربة التمثلات الاجتماعية ودورها في تشكيل الحقائق الاجتماعية التي يبنيها الفرد عن عالمه المعاش انطلاقا من العلاقة التي تربطه بشبكة الانترنيت والتمثلات التي يحملها عن هذه الأخيرة.
الكلمات المفتاحية: الاستخدام، شبكة الأنترنت، العالم الافتراضي، التمثلات الاجتماعية والحقائق الاجتماعية.

مقدمة:

لقد أتاحت الانترنت بفضل خصائصها التفاعلية للأفراد إمكانية إقامة علاقات اجتماعية افتراضية من خلال الشبكات الاجتماعية المتاحة كمنتديات الفيسبوك والدردشة الالكترونية واليوتيوب وغيرها فأصبح الفرد يعيش في عالم افتراضي خيالي خارج عن عالمه المادي المحسوس والذي يجد فيه كل الراحة والحرية التامة في غياب الرقابة الاجتماعية .

ساهمت هذه التكنولوجية واستخدامها المتزايد في تغيير أنماط التفكير و بناء و تشكيل معاني جديدة حول العالم الذي يعيش فيه الفرد.

على ضوء ما سبق ،تسعى هذه الورقة إلى طرح إشكالية علاقة استخدام الأفراد لشبكة الانترنيت وبناء الحقائق الاجتماعية لديهم عبر تبنى مقاربة التمثلات الاجتماعية ودورها في تشكيل الحقائق الاجتماعية التي يبنيها الفرد عن عالمه المعاش انطلاقا من العلاقة التي تربطه بشبكة الانترنيت والتمثلات التي يحملها عن هذه الأخيرة.

أولا:ـ وظائف التمثلات الاجتماعية:

تلعب التمثلات الاجتماعية دورا أساسيا في سيرورة العلاقات الاجتماعية والممارسات فهي إذن تجيب وتستجيب لأربع وظائف أساسية نوجزها فيما يلي:

1- الوظائف المعرفية: تسمح التمثلات الاجتماعية بفهم وتفسير الواقع و تبادل الأحاسيس المشتركة، وتسمح للأفراد بإدماج معطيات جديدة في إطار تفكيرهم، كما تسهل التواصل الاجتماعي بتحديدها للإطار المرجعي المشترك الذي يتيح إمكانية تبادل ونقل ونشر المعرفة.

2- وظائف الهوية: تلعب التمثلات الاجتماعية دورا حاسما في إنتاج الهوية من خلال ضبط العلاقات بين الجماعات وتحقيق انسجام واتساق هذه الجماعات، أن تكون ضمن جماعة يعني أن تتمثل نفسك على نحو ما عبر الرموز والخطابات والصور، والمعتقدات المشتركة .

3- وظائف التوجيه: توجه السلوك والممارسات، فنظام تفسير الواقع الذي تشكله التمثلات الاجتماعية يعتبر كموجه للفعل، هذه العملية التوجيهية بالنسبة للممارسات تنتج انطلاقا من ثلاث عوامل أساسية وهي:

- التمثلات تتدخل مباشرة في تعريف الغاية من المواقف.
- تنتج التمثلات نظاما للتوقعات، فهي تحمل أثرا على الواقع وهي تحدد وتصفي المعلومات والترجمات الخاصة بالواقع، والهدف هو جعل هذا الواقع مناسبا لما تحمله التمثلات.
- التمثلات تعتبرأنظمة لفك رموز الواقع، وظيفتها توجيه انطباعاتنا وسلوكياتنا.
- تسمح لنا بما هو مسموح في موقف ما.

4- وظائف التبرير: تسمح التمثلات الاجتماعية بالتبرير ألبعدي للسلوك والمواقف التي يتبناها الأفراد، فهي تلعب دورا في تحديد سلوكنا قبل القيام به وتفسره بعد ذلك وهذه الوظيفة في غاية الأهمية لأنها تسمح بتقوية التمايز الاجتماعي.[1]

فالتمثلات تعتبر ذلك النشاط الذهني الذي يقوم ببناء حقيقة معينة في الواقع الاجتماعي، فالتطورات الحاصلة في تكنولوجيات الاتصال الحديثة ساهمت كثيرا في بناء تمثلات مختلفة لدى مستخدميها وتكوين حقائق عن الحياة اليومية.

ثانيا ـ البناء الاجتماعي للحقيقة:

[1]- Jean Claude Abric, Pratiques Sociales et Représentation, PUF, 1er édition, Paris, 1994, p13

كانت وسائل الاتصال ولا تزال تشكل إحدى العمليات المركزية التي يحصل الناس عن طريقها على "فهم ذاتي للحقيقة الموضوعية". تشير الإحصائيات بأن فئة الشباب مثلا تتأثر بكل ما هو جديد وتنشئ علاقات اجتماعية افتراضية وتتفاعل مع المحتويات المتاحة، من الدردشة والفيس بوك والمحاورة الهاتفية « skype » و غيرها ، وتجذبها كل المضامين المتنوعة، وهذا ما يعطي دورا رياديا لوسائل الإعلام الحديثة "الانترنيت" في بناء الواقع الاجتماعي للمستخدمين ، فبفضل المواقع الالكترونية المتوفرة على الشبكة وخاصة مواقع الشبكات الاجتماعية والتواصل الاجتماعي "كالفيس بوك، اليوتيوب، والتويتر"، أصبح الفرد يرى مجموعة من الحقائق والوقائع الاجتماعية بالصوت والصورة والنص التي تؤثر في تشكيل السلوك والبنية الاجتماعية لدى الفرد المستخدم للانترنيت، وتساهم في تشكيل معاني معينة لديه.

بلغ إجمالي مستخدمي الإنترنت في العالم العربي في العام 2009 قرابة 40 مليون شخص طوال العام، وهو يعادل عدد مشاهدي قناة «الجزيرة» الإخبارية (باللغة العربية) في يوم، وفق دراسة نشرها مركز "International Media Assistance Centre for" الأميركي في شباط (فبراير) 2011. أشارت الأرقام إلى أن عدد مستخدمي الانترنت عربياً سيقفز إلى 100 مليون شخص بحلول العام 2015، ومع تنامي سرعة الاتصال والتحميل، سيتضاعف تأثير الانترنت عربياً.

ثالثا:- مفهوم المجتمع الافتراضي وعلاقته ببناء المعاني :

كلمة الواقع الافتراضي أو الحقيقة الافتراضية يقصد بها التمثيل الشبه الواقعي للأشياء والأشخاص وبيئات تواجدها مضافا إليها فكرة التفاعلية الدائمة وبناء معاني اجتماعية مشتركة بين الأفراد من خلال الرموز واللغة التي يكتسبها الفرد من المجتمع ومن وسائل الاتصال الجماهيرية ، ويشير أيضا إلى ما يسمى بالانغماس في الافتراض، ويعنى هذا الانغماس في الحقيقة الافتراضية أن يصبح المستخدم مغمورا تماما في عالم ثلاثي الأبعاد.

وبظهور الانترنيت كوسيط اتصالي أصبحنا نعيش في مجتمعين أو عالمين أحدهما يطلق عليه المجتمع الواقعي أو مجتمع خارج الانترنيت وهو القائم على التواصل عبر الاتصال الشخصي بين الأفراد، والآخر يطلق عليه المجتمع الافتراضي أو مجتمع الانترنيت وهو المجتمع القائم على التواصل بين الأفراد عن بعد عبر الانترنيت . وعليه أقام العديد من الباحثين العلاقة بين المجتمع الواقعي والمجتمع الافتراضي وأشاروا إلى أن هناك مصطلحان يوضحان طبيعة كل من المجتمعين وهما المكان والفضاء، ففي المجتمع الواقعي الأرض المادية هي مكان اللقاء أي الالتقاء وجه لوجه، بينما في المجتمع الافتراضي الالتقاء يتم عبر الفضاء الالكتروني بأفكار وآراء كل شخص، ويطلق الباحثون على المجتمع الواقعي بمجتمع الانطباعات الدافئة بينما يطلقون على المجتمع الالكتروني بمجتمع الانطباعات الباردة أين لا نجد فيها الحركات والإيماءات، فالمجتمعات الافتراضية تختفي بمجرد إغلاقنا لجهاز الكمبيوتر، عكس المجتمعات الواقعية تظل قائمة ومستمرة، إلا أن هناك ميزة في المجتمع الافتراضي لا تتوافر في المجتمع الواقعي تكمن في حرية اختيار وتحديد وقت التواصل مع الآخرين، فبمجرد ضغط الفرد المستخدم للانترنيت على مفتاح الكمبيوتر يجد نفسه مع أفراد آخرين ومن مزايا المجتمع الافتراضي،أن حدوده مفتوحة إذ يستطيع الفرد أن ينتقل بينها وبدون تكلفة ، يتصل بشخص ما في بلد ما ثم يتصل بآخر في بلد آخر في الوقت نفسه وبدون أي تكلفة مقارنة باستخدام الهاتف أو الانتقال المادي من مكان لآخر، ويكون الرّد في الوقت المناسب للفرد.

رابعا:- الهوية الافتراضية وبناء العلاقات الاجتماعية عبر الانترنيت :

مع بروز المجتمعات الافتراضية على الخط وبناء علاقات اجتماعية افتراضية بين المستخدمين ظهر ما يسمى بالهوية الافتراضية، فبمجرد دخول الفرد إلى موقع شبكة الانترنيت يقوم بتسجيل هويته الافتراضية وذلك بتدوين اسمه وإدخال كلمة السر إلى غير ذلك وعليه قدمت الباحثة Solange « ghernaouti-Hélie » تفسيرا حول الهوية الافتراضية وهي تتساءل عن هوية الفرد في الانترنيت هل هي مطابقة للهوية الحقيقية الموجودة على أرض الواقع أم أنها هوية مستعارة بعدة أسماء وشخصيات مختلفة وكيف يمكن الوثوق بهؤلاء الأشخاص، وأن الانترنيت قادرة على جعل بعض التمثلات عن الواقع افتراضية ونفس الشيء بالنسبة للهوية[2].

فهوية الشخص إذن هي مجموعة من المعلومات والمفردات التي تدل على كينونة وحقيقة الشخص، طبيعته، انتماءه، أفكاره وميوله ، أما الهوية الالكترونية تتشكل من جميع العوامل والمفردات التي تعبر عن وجود شخص ما في فضاء الانترنيت مثل تسجيله في البريد الالكتروني، المدونة الشخصية، الفيس بوك، اليوتيوب الخ من مواقع التواصل الاجتماعي، كأدوات الاتصال التزامنية، وأدوات الاتصال غير تزامنية، وهذه الهوية مكنت كل منا من تكوين واقعه الافتراضي الخاص به على شبكة الانترنيت والذي يجول فيه بمنتهى الحرية فيقوم بنشاطات ومناقشة أفكار معينة وبعث وإرسال رسائل معينة وكتابة مدونات، بعث لقطات الفيديو وتكوين صداقات مختلفة مع أشخاص مختلفة من العالم.[3]

فالهوية الافتراضية يمكن أن تذهب إلى حد تكوين شخصية مزدوجة ومغايرة كالتي هي موجودة في الواقع فالأنا الشخصية يمكن أن تتغير في الانترنيت وأن يصنع الفرد من هويته الافتراضية شخصية كمالية، وهمية خيالية وكما يمكن أن تنقص وتنزل قيمة الأنا الشخصية وهذا حسب طبيعة نفسية كل شخص، وبالتالي فالأنا الافتراضي لا يمكن أن يكون أبدا الأنا الحقيقي، ففي الواقع الافتراضي يستطيع الفرد أن يدير ويسير هويتين مختلفتين هويته الافتراضية أو هويته الحقيقية، وتكمن ميزة الهوية الافتراضية في أن الشخص قادر على تحويلها وتغييرها كما يشاء[4].

ويعمل الأفراد في الانترنيت على تغيير هوياتهم ويقومون بلعب أدوار مختلفة وتقمص شخصيات عديدة، وبالتالي فإن هناك فرق بين الصورة التي يقدمها الأفراد عن شخصيتهم وأنفسهم وبين الهوية الحقيقية في الواقع، فهم يستخدمون هويات تتغير من وضعية لأخرى ومن شخص لآخر وتعتبر الانترنيت بصفة عامة الفضاء الذي يوفر إمكانية تقمص شخصيات وتبني هويات متعددة كما يتيح أيضا التلاعب بهويات الآخرين[5]. وما يحدث حاليا في الانترنيت هو قرصنة وسرقة هويات الآخرين والتلاعب

---

[2]- Solange ghernaouti-Hélie, identité virtuelle et identifie cat, texte en ligne :
- http://www.gradueshec.ch/bulletins/documents/bull_HEC_75_SG.pdf

[3] ـ الهوية الالكترونية، متوفر على الموقع:
-http://www.heshamwords.blogspot.com/2008/10/blog-post_22.html afficher le : 13/01/2011.

[4]- Ludovic Gavignet, identité virtuelle versus identité sociale, texte en ligne :
- http://www.veille-doc.blogspot.com/2008/03/identit-virtuelle-versus-identit-html afficher le : 12/01/2011.

[5]- براهيم بعزيز، منتديات المحادثة والدردشة الالكترونية، دراسة في دوافع الاستخدام والانعكاسات على الفرد والمجتمع، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، 2008، ص81.

بمواقعهم الخاصة، كسرقة مثلا هوية مدونة شخص ما، كما يقوم في بعض الحالات بانتحال شخصية غيره ويستخدم هويته الالكترونية ويتعامل باسمه على الانترنيت أو الكتابة على مدونته والتعليق باسمه، وقد يسبب له مشاكل بينه وبين أصدقائه ويقوم بأفعال تسيء لصاحب الهوية الالكترونية الأصلية، وهناك حالة أخرى من القرصنة والانتحال كأن يقوم شخص ما باستخدام اسم مستخدم مشابه للاسم الحقيقي مثلا على نفس موقعه ويمارس نشاطات في نفس الأماكن والمساحات التي يتجول فيها صاحب الهوية الأصلية على الموقع.وعليه نجد العديد لديهم هويات وشخصيات مختلفة في الانترنيت وذلك خوفا من أن لا يكتشف أو يتعرض للخطر عبر الانترنيت. والهوية الافتراضية تعبر عن هوية الفرد على أرض الواقع، فالشخص هو الذي يقوم بصنع هويته الالكترونية ويستطيع إذا ضاعت منه أن يصنع غيرها وهكذا[6]

خامسا:- الحقائق الاجتماعية ووسائل الاتصال الجماهيري:

إن وسائل الإعلام لا يمكن أن تدرس بمعزل عن السياق الاجتماعي الذي تعمل فيه ، فهي جزء من النظام الاجتماعي وأن فهم هذه الوسائل من وجهة نظر متسقة سوف يأتي من خلال استكشاف العلاقات أو الروابط بينها وبين بقية مختلف مؤسسات المجتمع[7] . و وسائل الإعلام لا تعكس ما يحدث في الواقع وإنما تنمي « Cultive » عالما يبدو حقيقيا للمتلقين، ونتيجة تراكم التعرض لوسائل الإعلام يبدو العالم الذي صنعته تلك الوسائل حقيقيا في أذهاننا وقد لا يستطيع بعض الناس التمييز بين العالم الحقيقي والعالم المصطنع عن طريق وسائل الإعلام[8].

كتبت أستاذة علم الاجتماع شيري تركل من معهد ماساتشوستس إن مواقع شبكات المعلومات الاجتماعية مثل "تويتر" و"فيس بوك" تجعلنا "أقل آدمية"بعزل الناس عن الواقع. وتفسر تركل ذلك بأن الناس يصيرون معزولين عن الواقع بسبب هذه المواقع الاجتماعية لأن التكنولوجيا تهيمن على حياتنا وتجعلنا أقل آدمية.وتضيف أنه في ظل وهم السماح لنا بالاتصال بطريقة أفضل تعزلنا التكنولوجيا في الحقيقة عن التفاعلات البشرية الحقيقية في واقع افتراضي إلكتروني، يُعتبر تقليدا ضعيفا للعالم الحقيقي. وتمضي تركل بالقول "إننا ابتكرنا تقنيات ملهمة ومعززة ومع ذلك فقد سمحنا لها بأن تحط من قيمتنا."

تحذيرات تركل جاءت عقب وفاة سيمون باك، امرأة من برايتون في أستراليا كانت قد أرسلت مذكرة انتحار على صفحة فيسبوك الخاصة بها.

و هي " ترى أيضا أن الطريقة المحمومة للناس في التواصل عبر الإنترنت من خلال شبكات التواصل الاجتماعي كـ "التويتر" و"الفيسبوك"، تعد شكلاً جديداً من أشكال الجنون الحديثة." ونقلت "الاندبندت أون صاندي" الاحد 23 يناير 2011 عن تركل، قولها بأن هذا السلوك الذي بات مقبولاً ونموذجياً يعبر عن مشكلة نفسية اجتماعية. وتسببت أراء تركل، الذي سينشر في ضجة كبيرة في الولايات المتحدة، التي تشهد إقبالا شديداً على شبكات التواصل الاجتماعية، وتقوم أطروحة تركل على

---

[6]- الهوية الالكترونية، مرجع سبق ذكره.

[7] Dennis Howitt, the mass media and social problems, pergamon press, New York, 1982, p 20.

[8]- د/ حسن عماد مكاوي، ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط7، مصر، 2008، ص 146.

فكرة بسيطة، وهي أن التكنولوجيا تهيمن على حياتنا وتجعلنا أقل إنسانية، وأنه وتحت شعار "التواصل بشكل أفضل" فإن هذه الشبكات تزيد من عزلة الناس، عبر الإدماج في عالم افتراضي متخيل، وليس في عالم إنساني حقيقي "إن مواقع شبكات التواصل الاجتماعية تجعلنا أقل آدمية " "الثلاثاء 21 صفر 1432هـ - 25 يناير 2011م باحثة أمريكية "

ويمكن تلخيص الواقع المدرك من وسائل الإعلام بأنه مكون من ثلاثة متغيرات أساسية هي:

1- النافذة السحرية Magic Window: ويمكن تحديدها بأنها النافذة التي يطل المشاهد من خلالها على الواقع الاجتماعي و الموضوعي ووجوب التفرقة بين البرامج الخيالية المستمدة من الأدب والمسرح والبرامج الواقعية المستمدة من الواقع المعاش.
2- المنفعة Utility: تمثل المنفعة البعد الثاني في إدراك الواقع من التلفزيون ويطلق عليه أحيانا التوقعات الاجتماعية أو التعلم فمثلا المشاهد الذي لديه اعتقاد قوي بأن المسلسلات التلفزيونية تعكس مواقف واقعية حقيقية سوف يعتقد في إمكانية تطبيق هذه المواقف على حياته الخاصة أكثر من المشاهد الذي يرى في المسلسلات مجرد أعمال خيالية تعتمد على المبالغة.
3- التوحد Identity: ويتمثل هذا المتغير في مدى اقتراب المشاهد من شخصيات التلفزيون، ولا يقتصر ذلك على شعور المشاهد بجاذبية الشخصيات فقط وإنما يعنى أيضا الإيمان بفاعلية الشخصية وتأثيرها في حياته الخاصة، فالأفراد الذين يتوحدون مع شخصيات التلفزيون ليس أنهم لا يستطيعون التمييز بين عالم التلفزيون وعالم الواقع وإنما يتولد لديهم شعورا قويا بواقعية تلك الشخصيات وتكون مشاعرهم اتجاهها مشابهة لمشاعرهم اتجاه الأشخاص الحقيقيين[9].

سادسا:- الانترنيت وبناء الحقيقة الاجتماعية:

إذا كانت وسائل الإعلام هي إحدى البناءات الاجتماعية، فإن الانترنيت هي تابعة لهذه الوسائل باعتبارها تقنية وتكنولوجية حديثة يلجأ إليها المستخدم خاصة مع انتشار مواقع التفاعل والتواصل الاجتماعي التي تعمل على إبراز وكشف الحقائق الموجودة في المجتمع وتنمي في المستخدم تمثلات" Représentations "معينة في بناء واقعه الاجتماعي من خلال ما يراه في هذا العالم الافتراضي الذي يجعله فيما بعد لا يفرق بين ما هو حقيقي وواقعي وبين ما هو افتراضي والذي أطلق عليه البعض العالم أو الفضاء البديل في الانترنيت.

أكد علماء نفس ألمان أن استخدام شبكات التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت يجعل المستخدم أكثر انفتاحا وصراحة.وقالت زابينه تريبته عن دراستها التي أجرتها بالتعاون مع زميلها ليونارد راينكه بكلية "هامبورغ ميديا"، وأعلنت عنها الخميس 14-10-2010 في المؤتمر الأوروبي للتواصل بهامبورغ، "إن من يذكر الكثير من بياناته الشخصية على أحد مواقع التواصل الاجتماعي مثل موقع فيس بوك "تصبح لديه بعد عام قدرة نفسية أكبر على المصارحة الذاتية."

[9]- د/ حسن عماد مكاوي، د/ ليلي حسين السيد، مرجع سبق ذكره، ص ص 171، 172.

وتؤكد الدراسة أن الأشخاص الذين يدلون بالمزيد من المعلومات عن أنفسهم في صفحات التواصل الاجتماعي يجمعون أصدقاء أكثر خلال نصف عام.
غير أنه تبين من خلال الدراسة أيضاً أن هذه الصداقات قلما تكونت منها صداقات حميمة "أما الصداقات الحقيقية فلا تزال تتم وتستمر بعيداً عن الانترنت. وقالت شخصيات رائدة في موقعي "فيسبوك" و"تويتر" إن ظاهرة التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت ستتزايد مع تزايد استخدام الكمبيوتر أثناء حركة التنقل.
وقال كريس هيوز، أحد مؤسسي موقع "فيسبوك" في بوسطن الخميس 28-10-2010 "خلال عامين إلى خمسة أعوام من الآن سيختفي السؤال عن أي المواقع تستخدم بخلاف الشبكات الاجتماعية لأن جميعها ستكون اجتماعية."
وقال هيوز (27 عاماً) خلال حلقة نقاشية في مؤتمر استثمار تشارلز شواب "امباكت 2010" المواقع الاجتماعية أصبحت الإطار المصفاة لكثير من المعلومات."
وهناك أكثر من 500 مليون مستخدم نشط على موقع "فيسبوك" بينهم أكثر من 150 مليوناً يستخدمون الموقع من خلال هواتفهم المحمولة، ويقدر عدد المستخدمين المسجلين في "تويتر" بأكثر من 165 مليوناً.
وقال بيز ستون، أحد مؤسسي موقع تويتر: إن اتساع نطاق التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت سيتواكب مع ارتفاع في حركة التنقل الشخصي وذلك في ظل إحلال أجهزة الكمبيوتر التقليدية بالهواتف النقالة الذكية.
وقال ستون (36 عاماً): "أتمنى رؤية عدد أقل من الأشخاص ينحنون على أجهزة الكمبيوتر في مكاتبهم خلال خمس سنوات."
وقال هيوز إن تطبيقات مثل "فيسبوك كونكت" سيسهم بشكل متزايد في بناء التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت.
وعلى سبيل المثال، مستخدمو "فيسبوك كونكت" الذين يذهبون إلى موقع صحيفة "نيويورك تايمز" يستطيعون الآن رؤية المقالات التي يقرأها أصدقاؤهم والتوصية بها.وقال هيوز: "ليس هناك مصفاة أفضل من الأشخاص الذين تعرفهم وتثق بهم.
وبانتشار الانترنيت أحرز المفهوم الافتراضي الذي اتجه نحو بناء فضاءات بديلة أصيلة مقدما للمتلقي إمكانية التفاعل الاتصالي الحقيقي مع الصور، ولذلك يمكن اعتبار الحاسوب ضمن هذه الرؤية مولد وقائع لعوالم ممكنة تمتاز بتناغمية داخلية خاصة بها وباستقلالية سلوكية[10] .
وبهذا أعادت الانترنيت تشكيل النماذج التقليدية في ممارسة التفاعل البشري، فرغم اعتبار الاتصال المواجهي « Face To Face Communication » هو أكثر الأساليب الاتصالية فعالية إلا أن الدراسات الحديثة أظهرت أن الانترنيت كوسيط أداة فعالة للاتصال الشخصي بل وحتى يستخدم كأداة هامة في المشاركة والتفاعل اللحظي في كثير من المواقف ، وإمكانية مناقشة موضوعات لا يمكن التحدث فيها وجها لوجه[11] .

[10]- د/ فريال مهنا، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، دار الفكر المعاصر، لبنان، 2002، ص 240.
[11]- د/ عزة مصطفي الكحكي، استخدام الانترنيت وعلاقته بالوحدة النفسية وبعض العوامل الشخصية لدى عينة من الجمهور بدولة قطر، أبحاث المؤتمر الدولي الإعلام الجديد، تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، طبعة 2009، ص268. ظهر على الموقع:
Http://NMCONF.UOB.BH/Download/book/arabic.pdf consulter le 13/08/2010.

وبواسطة رموز ترسل من شخص إلى مجموعة من الأفراد، وقد تكون هذه الرموز لغة أو رسوما [12] تساهم كلها في بناء معاني اجتماعية وإنتاج حقائق ووقائع من خلال استخدام هذه الوسائل ، ولم تكتفي هذه الوسيلة الإعلامية الجديدة بالسماح لكل من المرسل والمستقبل بتبادل أدوار العملية الاتصالية، ولكنها أحدثت ثورة نوعية في المحتوى الاتصالي المتنوع من نصوص إلى صور وملفات صوتية ولقطات فيديو مصورة، وقد انتشرت المواقع التي تتيح للمستخدمين تحميل ملفات فيديو شخصية أو عامة بضوابط معينة ليراها الجميع، حيث تحول المستخدم إلى منتج إعلامي بفضل التقنيات الاتصالية الجديدة من كاميرات الهاتف النقال وغيرها ، ينتج بواسطتها ويبث ما يريد على الانترنيت[13].

وانطلاقا من حقيقة لا يمكن لا أن ينكرها أحد لعب الفيس بوك و تويتر دورا حاسما في قيام صحوة عربية بمصر و تونس و اليمن و امتد الأمر إلى أوروبا و تحديدا بريطانيا، و لان الخوف و الخشية هو سمة البشر و الدول أيضا و من هذا المنطلق تنبهت الإدارة الأمريكية إلي أهمية الإعلام الاجتماعي علي شبكة الانترنت من خلال شبكات التواصل الاجتماعي وخصوصا " تويتر" و"فيسبوك" بعد نجاح ثورات الربيع العربي باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي في التأثير ونشر الأخبار والأفكار. حيث تستثمر وزارة الدفاع الأمريكية الملايين – حوالي 42 مليون دولار – في مشروع لتحليل وسائل الإعلام الاجتماعية من حيث "انتشار الأفكار" و "تحديد المشاركين" و كذلك نشر المعلومات و الأخبار المضللة. ووفقا ل "التايم" تعمل وزارة الدفاع على وضع مبادرة جديدة لتعقب المعلومات عبر "التويتر" الذي يصل عدد مستخدميه إلي 200 مليون مستخدم من أجل جمع معلومات إستخباراتية قيمة و المساهمة في تضليل الرأي العام. وعلى الرغم من هذه المبادرة الجديدة سوف تركز وزارة الدفاع الأمريكية على وسائل الإعلام الاجتماعية ككل ، وخاصة " صحافة المواطن" ومضمونها المتاح على الشبكات الاجتماعية ، إلا انه من المحتمل أن تركز في معظمها على مراقبة "تويتر" بمثابة انه منجم ذهب محتمل بين يدي المخابرات الأمريكية.

ينفذ و يقوم علي تطوير هذا المشروع (داربا Darpa – (وهي وكالة الأبحاث والمشاريع المتقدمة لوزارة الدفاع الأمريكية والتي تنفق الملايين في عدة مجالات من تطوير الأسلحة إلى الاختراعات التكنولوجية. وتتمحور أهداف المشروع في أربعة أهداف:

1- كشف وتصنيف وقياس ومتابعة تشكيل وتطوير وانتشار الأفكار والمفاهيم بالإضافة إلي الرسائل سواء الهادفة أو الموجهة أو المضللة أو الخادعة.

2- التعرف علي تأثير حملات الإقناع عبر مواقع وسائل الإعلام الاجتماعية .

3- تحديد المشاركين ومقاصدهم ، وقياس تأثير حملات الإقناع.

4- نشر الدعاية المغرضة و المعلومات المضللة، بهدف تضليل الرأي العام عن جرائم أمريكا في العالم.

ومن هنا لم تكن للولايات المتحدة حيلة سوى التجسس على تلك الشبكات خشية قيام ثورة أمريكية تطيح بالنظام و قد تؤدى إلى حرب أهلية و صنع دويلات بدلا من الولايات التي تخضع لعلم و سياسة واحدة، فالتجسس ليس مقتصر على أمور الدول فقط بل إن البنتاغون تشتري برامج خاصة بغية التجسس على المواقع الالكترونية الاجتماعية و تحديداً مثل فيس بوك و وتويتر و غيرها من المواقع

---

[12]- د/ طه عبد الغاني نجم، الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث (الموضوع والقضايا)، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، 2005، ص 64.

[13]- د/ رضا عبد الواجد أمين، استخدامات الشباب الجامعي لمواقع يوتيوب على شبكة الانترنيت، أبحاث المؤتمر الدولي الإعلام الجديد، تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، طبعة 2009، ص512. ظهر على الموقع:
Http://www.nmconf.uob.bh/Download/book/arabic.pdf consulter le 13/08/2010.

ذات الطابع الاجتماعي.

حيث يقوم البرنامج باصطناع هويات مزيفة للدخول على هذه المواقع يتسلل عن طريقها إلى المستخدمين الذين يشتبه في كونهم إرهابيين أو متشددين.

وذكرت صحيفة تلغراف البريطانية في موقعها الإلكتروني بأن البرنامج الذي طورته شركة "إن تريبيد" في سان دييجو بلغت تكلفته 2.7 مليون دولار ويسمح لأي مستخدم في الجيش بالقيام بتسجيل حسابات بهويات متعددة على الإنترنت والانخراط في محادثات واتصالات إلكترونية ومن المقرر أن يمكن البرنامج المشغلين الإلكترونيين من القيام بإدارة عدد من الحسابات الإلكترونية المختلفة من نفس محطة العمل دون الخوف من اكتشافهم بواسطة منافسين متطورين.

وقال متحدث باسم منطقة القيادة المركزية الأمريكية التي تتضمن الشرق الأوسط وباكستان وأفغانستان أن مخطط الحرب النفسية يطبق فقط في المواقع الاجتماعية الأجنبية، وقال: نحن لا نستهدف المواطنين الأمريكيين، ولا نجرى هذه الأنشطة على المواقع التي تملكها شركات أمريكية، مشيراً إلى أن التسللات لن تجرى باللغة الإنجليزية لكن باللغة العربية ولغات أخرى ، والحالة هذه يبدو أن العالم بات تحت أنظار البنتاغون و الجهات التي تريد الحصول على معلومات عن المستخدمين في جميع أنحاء العالم.

كما أفرزت الانترنيت ممارسات جديدة كان لها تأثيرات متباينة ايجابية تارة و سلبية تارة أخرى على حياة الأفراد والمجتمعات وأوجدت أيضا مصطلحات جديدة على مستوى المفاهيم الإعلامية كظهور الفضاء العمومي الذي تحدث عنه "هابرماس" ومصطلح الفضاء الالكتروني « cyberspace »[14].

وكثرة استخدام الشباب للانترنيت يجعلهم يمزجون بين الواقع المعاش والواقع الافتراضي، فتجدهم يعيشون في مساحة افتراضية غير حقيقية يتبنون فيها قيما وأفكارا وتصورات خاصة بهم لا نجدها في الواقع الحقيقي، وكثرة تصفح الشباب لمواقع الانترنيت يجعلهم يعتقدون أن ذلك هو العالم الحقيقي والعالم الذي يعيشون فيه هو حقيقة العالم الهامشي، وقد يصل في بعض الحالات بالشباب أو المستخدمين للانترنيت إلى الإعجاب بهذا العالم الافتراضي البديل ويتخذه ملاذا له من العالم الحقيقي الذي قد يفشل فيه، فتنمي بذلك الانترنيت نزعة هروبية وتجعل الشباب المستخدمين له يفلتون من الواقع الاجتماعي متخذا من الواقع الجديد تعويضا عن وضع مفقود لم يستطع عيشه في الواقع[15] .

سابعا:- التفاعلية في الانترنيت وعلاقته ببناء العلاقات الاجتماعية:

[14]- د/ يامين بودهان، الشباب العربي: اتجاهات الشباب العربي نحو مضامين شبكة الانترنات، مجلة الإذاعات العربية عدد03، 2010، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس. ص 6.

- http: //www.asbu.net/revue.03/form.html consulter le 04/01/2011.

[15]- د/ يامين بودهان، الشباب العربي: اتجاهات الشباب العربي نحو مضامين شبكة الانترنات، مجلة الإذاعات العربية عدد03، 2010، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس. ص 6.

تعتبر شبكة الانترنيت قارة متميزة بخصائص جوهرية أهمها عدم ماديتها وانفلاتها من المفاهيم الجغرافية التقليدية وحركية الحدود داخلها، حيث تتشكل وتتغير حسب ديناميكية متسارعة جدا على وقع التطورات المادية وتجديدات البرمجيات[16]. وقد تؤدي خطوط الدردشة بصفة خاصة إلى الإدمان، فبعض المستخدمين لها أصبحوا لا يستطيعون أن ينتزعوا أنفسهم بعيدا عن أجهزة الكمبيوتر ويقضون 12 ساعة متواصلة، حتى أن عددا منهم قد يواصل الجلوس إلى الانترنيت دون طعام أو حتى الذهاب إلى الحمام حتى لا يخاطر بفقدان بعض الدردشات والناقشات التي يتصور أنها جادة. وتمتد عملية الاتصال في الانترنيت إلى التأثير في بناء المحتوى وتوجيهه سواء كان هذا التأثير تزامنيا مع عرض البرامج أو المحتوى، أو لا تزامنيا عند التعرض إلى البرامج طبقا لخيارات زمن التعرض للمتلقي.

كما يؤدي استخدام الانترنيت إلى الرفع من قيمة الفرد وتميزه عندما توفر برامجه المتعددة قدرا كبيرا من الخيارات التي تمنحه حرية أوسع في التجول والاختيار والاستخدام، وهو ما يعلى من شأن الفرد.

ولقد أدى كل هذا إلى تفتيت متعدد لمستويات جهور المتلقين بحيث يصل جمهور المتلقين بعد هذا التفتيت إلى المفهوم الجمعي للمتلقين أي المستخدمين الذين يجتمعون حول اهتمامات معينة تتسم بالخصوصية الشديدة، بل وأكثر من ذلك الوصول إلى مستوى التفصيل"التفصيل على المقاس مثل الثياب" ، وذلك نتيجة التنوع الكبير وتعدد بدائل الاختيار وحرية المستخدم في الاختيار والانتقاء بما يتفق مع اهتماماته وخصائصه المعرفية وحاجاته[17] . وأخيرا نختم هذه المداخلة ببعض عيوب المجتمع الافتراضي فقد جمع العديد من الباحثين على أن مجتمع الانترنيت يفتقر إلى مكونات المجتمع المتعارف عليها ومنها ما يلي:

- الألفة « familiarity » حيث تتناقض هذه الصفة مع الاتصال بأفراد نعرفهم من قبل، أو إخفاء الهوية أثناء التواصل.

القوانين والعادات: حيث لا يلتزم الفرد في مجتمع الانترنيت بقوانين أو معايير الجماعات التي ينتمي إليها في المجتمع الواقعي ،

- ويشير الباحث "ميلر" « Miller » إلى أن التواصل في المجتمع الافتراضي يمكن أن يخلق الإحساس المضلل لدى الفرد بأنه ينتمي إلى مجتمع ولديه مجتمع بديل يمكن أن يغنيه وينعشه عن المجتمع الواقعي،
- كما أن في المجتمع الافتراضي لا نرى فيه أفراد أسرتنا أو أصدقائنا. وجها لوجه والذي يؤدي إلى العزلة الاجتماعية.
- وفي المجتمع الواقعي عندما تنهار العلاقات بين الأفراد يشعر الفرد بالإحباط والوحدة ويسعي جاهدا لإصلاح العلاقات، عكس المجتمعات الافتراضية فالفرد لا يعاني من الاكتئاب، بل يسعي لإقامة علاقات جديدة أخرى والتي لا تتسم بالدوام والاستمرارية كما تتقلص فيها الجدية والصراحة، وإخفاء الهوية والشخصية الحقيقية وتزييف العلاقات التي نادرا ما تكون صادقة وتصبح حقيقية في المجتمع الواقعي.

---

[16] ـ د/ الصادق رابح، الإعلام والتكنولوجيا الحديثة، دار الكتاب الجامعي، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2004، ص 14.

[17] ـ د/ محمد السيد محمد، وسائل الإعلام من المنادى إلى الانترنيت، دار الفكر العربي للطبع والنشر، ط1، 2009، 29-30.

المراجع:

1 - Jean Claude Abric, Pratiques Sociales et Représentation, PUF, 1er édition, Paris, 1994.

2 - Solange ghernaouti-Hélie, identité virtuelle et identifie cat, texte en ligne : http://www.gradueshec.ch/bulletins/documents/bull_HEC_75_SG.pdf

3- الهوية الالكترونية ، موجود على الموقع: -http://www.heshamwords.blogspot.com/2008/10/blog-post_22.html afficher le : 13/01/2011.

4 - Ludovic Gavignet, identité virtuelle versus identité sociale, texte en ligne :

5 - http://www.veille-doc.blogspot.com/2008/03/identit-virtuelle-versus-identit-html afficher le : 12/01/2011.

6 - براهيم بعزيز، منتديات المحادثة والدردشة الالكترونية، دراسة في دوافع الاستخدام والانعكاسات على الفرد والمجتمع، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، 2008.

7 - Dennis Howitt, the mass media and social problems, pergamon press, New York, 1982.

8 – د / حسن عماد مكاوي، ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط7، مصر، 2008.

9- Dennis Howitt, the mass media and social problems, pergamon press, New York, 1982.

10 د/ حسن عماد مكاوي، ليلي، حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط7، مصر، 2008.

11 - د/ فريال مهنا، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، دار الفكر المعاصر، لبنان.

12 - د/ عزة مصطفي الكحكي، استخدام الانترنيت وعلاقته بالوحدة النفسية وبعض العوامل الشخصية لدى عينة من الجمهور بدولة قطر، أبحاث المؤتمر الدولي الإعلام الجديد، تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين. ظهر على الموقع: Http://NMCONF.UOB.BH/Download/book/arabic.pdf consulter le 13/08/2010.

13- د-طه عبد الغاني نجم، الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث (الموضوع والقضايا)، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر.

14- د/ رضا عبد الواجد أمين، استخدامات الشباب الجامعي لمواقع يوتيوب على شبكة الانترنيت، أبحاث المؤتمر الدولي الإعلام الجديد، تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، طبعة 2009. ظهر على الموقع: Http://www.nmconf.uob.bh/Download/book/arabic.pdf consulter le 13/08/2010.

15 د -/ طه عبد الغاني نجم، الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث (الموضوع والقضايا)، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر.

16 د - / رضا عبد الواجد أمين، استخدامات الشباب الجامعي لمواقع يوتيوب على شبكة الانترنيت، أبحاث المؤتمر الدولي الإعلام الجديد، تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، طبعة 2009. ظهر على الموقع: consulter Http://www.nmconf.uob.bh/Download/book/arabic.pdf le 13/08/2010.
17 د - / الصادق رابح، الإعلام والتكنولوجيا الحديثة، دار الكتاب الجامعي، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2004.
18 – د / محمد السيد محمد، وسائل الإعلام من المنادي إلى الانترنيت، دار الفكر العربي للطبع والنشر، ط1، 2009.